المحاضرة الرابعة: دراسة 'ميدل تاون' لـ: روبرت وهلين ليند

تمهيد:

يهتم علماء الاجتماع بدراسة المشكلات الاجتماعية والأنماط المثيرة للاهتمام باستخدام أساليب البحث العلميةوالمنهجيةلإجراء البحوث والحصول على البيانات، وقد يعتمدون على الدراسات الإثنوغرافية والبيوغرافية التي تقدم إطارا تفسيريا للبيئة الاجتماعية أو الدراسة ككل ومثل هذا النوع من البحوث يتعين على الباحث توخي الحذر فهناك أوقات يجب فيها عدم الكشف عن هوية الباحث فلن يتجول باحث مثلا في حي مليء بالجريمة لينادي عن وجود أفراد عصابات في الجوار وعلى الباحثين أن يختاروا الأساليب البحثية التي تناسب موضوعات دراستهم وتناسب المناهج العامة للبحث.

وسوف نحاول في هذه المحاضرة أن نتناول دراسة'ميدلتاون' التي تعنى بالمجتمعات الحضرية انطلاقا من الأنثروبولوجيا والتي ركزت على مفهوم ومضمون الثقافة لتغطية جميع جوانب الحياة الاجتماعية لمجتمع المدينة والأدوار الاقتصادية والاجتماعية لأفرادها خلال الفترات الممتدة من 1924 إلى 1925 لتسفر عن جملة من النتائج الأولية ليلاحظ الباحثان (روبرت و هيلين) التغيرات التي حدثت في المدينة بعد 10 سنوات من الدراسة الأولى.

نبذة عن حياة روبرت وهيلين ليند:[1]

- روبرت ليند: ولد في 1892/9/26 وهو عالم اجتماع أمريكي تلقى تعليمه ليصبح كاهنا في الكنيسةالبروتستانتية وهو أستاذ في جامعة كولومبيا بنيويورك، اشتهر بإجراء أول دراسات ميدل تاون من مونسي إنديانا حصل على درجة البكالوريوس في الآداب من جامعة برينستون سنة

1914. وفي الأعوام 1919 و 1920، 1921 و 1933 حضر دروسا في المدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية(وهي جامعه بحثية خاصة في مدينة نيويورك تأسست عام 1919 تضم مختلف التخصصات بما في ذلك العلوم الاجتماعية)، من سبتمبر 1920 إلى 1923 التحق ليند بمدرسة الاتحاد اللاهوتية بمدينة نيويورك وحصل على درجة البكالوريوس في اللاهوت عام 1923، وفي عام 1924 انتقل روبرت وهيلين ليند إلى مونسي إنديانا (وهي مدينة في مقاطعة ديلاوير إنديانا تقع في شرق وسط إنديانا) لبدء دراسة ميدل تاون1 لمدة 18 شهر وفي عام 1926 أصبح ليند مديرا مساعدا لقسم البحوث التربوية في الكومنويلث ثم انضم إلى مجلس أبحاث العلوم الاجتماعية عام 1927 كمشرف أبحاث ومساعد رئيس مجلس الإدارةأمضأربع سنوات أخرى من 1928 إلى 1931 كسكرتير بالمجلس وفي عام 1931 عين أستاذ علم الاجتماع في جامعة كولومبيا وهو المنصب الذي شغله حتى 1960 وتوفي عام 1970.

- هيلين ليند: ولدت في 1896/3/17 وتوفيت في1982/01/30 عالمة اجتماع وفيلسوفة أمريكية اشتهرت بدراسات ميدلتاون مع زوجها روبرت تحصلت على درجة البكالوريوس عام 1919 من كلية ويلسلي ثم درجة الماجستير من جامعة كولومبيا عام 1922 ثم درجة الدكتوراه عام 1944 من نفس الجامعة في التاريخ والفلسفة توفيت عام 1982.

موضوع الدراسة:

في أوائل العشرينيات قام روبرت وزوجته هيلين بإجراء مسح عن الأنشطة والممارسات الدينية في مجتمع محلي أمريكي نمطي(دراسة الميدل تاون) وهي من أهم الدراسات الأنثروبولوجية الحضرية التي هدفت إلى دراسة الحياة الاجتماعية لشريحة اجتماعية في مدينة صغيرة في أمريكا وإعطاء تصور سوسيولوجي عن المجتمع المحلي (كل الدراسات السابقة كانت تركز على الثقافات الأخرى أو المجموعات الأقلية مثل العصابات والمهاجرين والفقراء لعقود ولم يتم دراسة الأمريكي العادي).

وقد قام الزوجان بعمل إثنوغرافي غير مسبوق لتطبيق الأساليب المنهجية لدراسة دور الدين وتأثير التصنيع والتحضر على الحياة الاجتماعية الأمريكية.

مجالات الدراسة:

- المجال الزمني:

✓ المرحلة الأولى من 1924 إلى 1925،ميدل تاون1.

✓ المرحلةالثانية بعد 10 سنوات من الدراسة الأولى عادا إلى نفس المدينة ليلاحظا التغيرات التي حدثت في المدينةالصغيرة خاصة بعد أزمه الثلاثينيات والكساد الاقتصادي وأصدرا الميدلتاون بصيغةأخرى بعد عام 1937.

- المجال المكاني: مدينة مونسي بإنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية.

- المجال البشري: قام العالمان بدراسة مسحية لمدينة مونسي وهي مدينة صناعية صغيرة يبلغ عدد سكانها حوالي 40,000 نسمة وقد استعيض عن اسم هذه المدينة باسم مستعار 'ميدل تاون'.

هدف الدراسة:

فهم المجتمعات الحضرية ومختلف الحياة الاجتماعية.

كان الهدف الأول في البداية يركز على دراسة دور الدين في المدن الأمريكية، لكن بعد جمع الملاحظات الأوليةأدرك العالمان أن تأثيرالتصنيع والتحضر (الانتقال من الزراعة إلى حرف أخرى ومن القرية إلى المدينة) هو الموضوع الأكثر صلة بهذه المجموعة الاجتماعية محل الدراسة،فأرادواأن يقدموا دراسة في الثقافة الأمريكيةالحديثة والتوصيفات الاجتماعيةالواقعية بهدف إقناع النخبةبالحاجة إلى إصلاحات في المجتمع، وقد وضع تصورا سوسيولوجيا عن المجتمع المحلي من خلال دراسة مظاهر الحياة الاجتماعيةالمنظمة تحت ستة عناوين وهي:[2]

- نوع العمل (كسب القوت).
- حياةالأسرة(بناء وتأثيث المنزل).
- تنشئة الصغار.
- استخدام وقت الفراغ.

.

- نشاط المجتمع المحلي (الانخراط والمشاركة في أنشطة المجتمع المحلي).
- المشاركة في الممارسات الديني

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الإثنوغرافي ويقصد به تلك الدراسة الميدانية العلمية للظواهر الاجتماعية عن طريق اتصال الباحث الأنثروبولوجي بموضوع البحث اتصالا مباشرا ليعيش فيه بين الجماعات المراد دراستها والانخراط العميق للباحث علنا أو خفية في حياة الناس لفترة زمنية طويلة، يراقب ما يحدث ويسمع ما يقال ويجمع ما أمكن من البيانات حول قضايا محورية (يعتمد على الملاحظة بالمشاركة)، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي اعتمد عليه في المقارنة بين ميدل تاون المعاصرة وجيلا مضى 1890 والمنهج التاريخي، بالإضافة إلى ذلك قام بفحص البيانات الوثائقية وجمع الإحصاءات وإجراء المقابلات المقننة والعرضية والاستعانة بالاستبيانات ومن بين الوثائق : تقارير التعداد، سجلات المدينة والإقليم، ملفات المحاكم وتقارير الولاية وكتبها السنوية، سجلات المدارس، محاضر الاجتماعات، الصحف، اليوميات الشخصية، سجل الاحداث المحلية، دليل المدينة، كراسة الغرف التجارية.[3]

بالإضافة إلى الملاحظة بالمشاركة اعتمدت الدراسة على المقابلة الموجهة والتلقائية والاستبيانات، وقد أنهيا هذا العمل المنهجي باستخدام جملة من المعطيات الإحصائية التي أتيحت لهما وقد امتزجت الأدوات البحثية بين البيانات الرسمية والانطباعات غير الرسمية ومن الوثائق المكتوبة نجد تقارير التعداد، سجلات المدينة والإقليم وملفات المحاكم وسجلات المدارس وتقارير الولاية وكتبها السنوية، والصحف، المحاضر، اليوميات الشخصية، سجلات القصاصات، الأحداث اليومية، حوليات المدرسةالثانوية، دليل المدينة والخرائط وكراسة الغرفة التجارية[4]، كما شملت دراسة على عينتين؛ عينة من أسر الطبقات العاملة وعينة من أسر طبقة رجال الأعمال.

مفاهيم الدراسة:

صناعة ميدل تاون:

عام 1924 قام الزوجان روبرت وهيلين ليند بعمل إثنوغرافي غير مسبوق بتطبيق الأساليب الاجتماعية للسوسيولوجيا الحضرية لدراسة مدينة أمريكية بغية اكتشاف ما فعله الناس "العاديون" في الولايات المتحدة الأمريكية، أو اعتقدوه، باختيار مونسي بولاية إنديانا كموضوع لهم عاشوا فيها مدة 18 شهرا قاموا خلالها بفتح مكتب في مبنى محلي لجمع البيانات، وخلال تلك الفترة شارك ليند وزوجته ومعاونوهما قدر الإمكان في جميع جوانب الحياة بالمجتمع المحلي، (وكان علماء الإثنوغرافيا من قبل يدرسون ويفحصون ثقافات الأخرى أو المجموعات التي تعتبر أقلية أو خارجية مثل العصابات والمهاجرين والفقراء لكن لم يدرس أحد ما يسمى بالأمريكي العادي). انقسمت الدراسة إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى من 1924 إلى 1925: قارنوا فيها بين مونسي عام 1890 وبين مونسي التي لاحظوها عام 1924 واعتمد التقرير النهائي للبحث على مزيج بين البيانات الرسمية والانطباعات غير الرسمية والمعلومات المجمعة باستخدام الملاحظةبالمشاركة كما قاما بفحص البيانات الوثائقية وجمع الإحصاءات وإجراء المقابلات والاستعانة بالاستبيانات ومن بين الوثائق المكتوبة نجد تقارير التعداد، سجلات المدينة والإقليم، وملفات المحاكم وسجلات المدارس وتقارير الولاية وكتبها السنوية والصحف ومحاضر الاجتماعات واليوميات الشخصية وسجل القصاصات والأحداث المحلية ودليل المدينة والخرائط وكراسة الغرفة التجارية وحوليات المدرسة الثانوية. كما شمل برنامج المقابلات محادثات عارضة ومقابلات مخططة مع أبرز الإخباريين، ومسح لعينة من أسر الطبقةالعاملة، وعينةأخرى من أسر طبقة رجال الأعمال[5]. وقد وجدوا أن معظم البالغين في مونسي قد نشأوا في المزارع ولكنهم يعيشون الآن في منازل داخل المدينة، قاموا بتقسيم المدينة إلى مجموعات: فئة رجال الأعمال وفئة الطبقة العاملة.

- ✓ طبقة رجال الأعمال التي تحصل على دخلها من العمل مع الناس.
- ✓ وطبقة العمال التي تحصل على معظم دخلها من العمل مع الأشياء وقد استخدموا الأدوات لإنشاءأشياء ملموسة.

وتختلف هاتان الطبقتان من حيث فرص الحياة ونظام المعيشة اليومي والعلاقات الأسرية والمعتقدات الدينية والسياسية وتتشابه عادات أفرادالطبقةالعاملة في بعض الجوانب مع عادات أفراد طبقة رجال الأعمال من الجيل الماضي، وتظهر السمات الثقافية الجديدة في طبقة رجال الأعمال أولا ثم تنتقل ببطء إلى طبقة العمال كما كان الصغار أكثر استجابة للتغير الاجتماعي، وكانت النساء أكثر استجابة له من الرجال خاصة في طبقة رجال الأعمال ولاحظ لليند وزوجته أنه بالرغم من اختلاف الحياة الاجتماعية والأهداف إلا أن الإنتاج الضخم يوفر لكلا الفئتين نفس وسائل الراحة مثل العائلات الثرية، إذأصبحت الطبقةالعاملة قادرة على امتلاك أجهزة الراديو والسيارات والغسالات والهواتف والثلاجات...إلخ.

وقد توصل الباحثان إلى أن هناك نوع من التدرج في التغير الاجتماعي بالنسبة للنظم الاجتماعيةالستة على النحو التالي:

1) كان التغير أكثر سرعة في النشاط الاقتصادي.
2) وقت الفراغ.
3) التعليم.
4) أنشطة المجتمع المحلي.
5) الأنماط الأسرية.
6) الانخراط في الممارسات الدينية.

- المرحلة الثانية: سنة 1935 : في عام 1935 كانت ميدل تاون قد بدأت تصحح وضعها الناتج عن انهيار الصناعة والبطالة المتفشية والخسارة في الممتلكات والمدخرات التي حدثت خلال خمس السنوات الماضية (من عام 1930 إلى عام 1935) وتعطل التقدم الاقتصادي للمجتمع المحلي تعطلا كاملا وأصبح حوالي ربع الأسر يعيش على المساعدات العامة وانخفضت عدد الزيجات

والولادات وتوقف تشييد المباني الجديدة وشهد نظام العمل تحولا بفعل القواعد الفيدرالية وانتشار الحركات النقابية بين العمال والصراعات الكامنة في مجتمع الميدل تاون كما أدى الكساد إلى تباطؤ سرعة التغير الاجتماعي ونمو الوعي في عقول السكان بنمو التعارض بين الواقع والرموز التي يستخدمونها في تفسير هذا الواقع وهذا ما جعل ليند وزوجته يعيدان النظر في وجهة نظرهما السابقة حيث عادا إلى نفس المدينة ليلاحظا التغيرات المصاحبة لأزمة الثلاثينيات والكساد الاقتصادي في المدينة الصغيرة فأصدرا الميدل تاون بصيغة أخرى بعد عام 1937.

حيث ظهر متغير جديد لم يكن سابقا وهو متغير القوة إذ أن توزيع القوة والتأثير داخل المجتمع المحلي لم يكن متوازنا فالسلطة الاجتماعية والسياسية في المدينة تركزت في أيدي أسر معينة ذات النفوذ التي كانت تمتلك الصناعةالمحليةالرئيسية وكانت تسيطر على الحياة الاقتصادية وعلى العمالة المحلية في المدينة وعلى المجتمع المحلي برمته من خلال علاقتها الاستراتيجية مع البنوك الرئيسية والمكاتب القانونية ومجالس التعليم والجمعيات الخيرية والكنائس والصحافة والأحزاب السياسية.

وقد طغى الصراع وطفى على السطح وتفاجأ الباحثان بملامح بغيضة في ميدل تاون تغاضيا عنها أو صوراها بدرجةأقل من الواقع عام 1925

لقد حاول روبرت وهيلين ليند تقديم إضافات منهجية للسوسيولوجيا الحضرية بالاستعانة بالأنثروبولوجيا محاولين فهم وتفسير مجموعة من الظواهر الاجتماعية التي تحدث داخل مجتمع محلي وقد وقع اختيارهما على مدينة صغيرة في الولايات المتحدة الأمريكية (مونسي) وقد جاءت هذه الدراسة على مرحلتين: ميدل تاون1 في مرحلة الرفاهية الاقتصادية، وميدل تاون 2 بعد الكساد، وبين الازدهار والكساد الاقتصادي حدث تغير في كل النواحي الاجتماعية في المدينة مع الاختلاف في درجات تأثيره بين طبقات المجتمع.